

الأسس الفلسفية لإشكالية التربية، قراءة نقدية في الفكر التربوي اليوناني
philosophical foundations of the problem of education, a critical reading in the Greek
educational thought
خن جمال¹ ، زيان محمد²

¹ جامعة أحمد زبانة غليزان (الجزائر)، khenjamel3@gmail.com

² جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، mohamed.ziane@univ-biskra.dz

تاريخ النشر: 2021-06-30

تاريخ القبول: 2021-06-26

تاريخ الاستلام: 2021-04-27

ملخص: تشكل الفلسفة اليونانية مرجعية فكرية هامة للتراث الإنساني في عديد المجالات المعرفية، ولعل إشكالية التربية أبرز هذه المسائل، بالرغم من التطور الحاصل في أبرز العلوم المتعلقة بعلم الإنسان وعلم الاجتماع (العلوم الإنسانية والاجتماعية) ومحاولة تقليدها للعلوم المادية والتجريبية في الدقة والاختبار، إلا أن الرؤى اليونانية لازالت حاضرة في النظريات العامة في هذا المجال على غرار علوم التربية، الذي أضحي تخصصا مهما تحاول كل المعاهد العلمية والأنظمة التعليمية من تبنيه خاصة بعد تأسيس معهد علوم التربية بجنيف في 1902. إن فلسفة التربية التي تعتبر جزءا من هذا المجال العلمي العام قد أرسى قواعدها فلاسفة اليونان على غرار سقراط وأفلاطون وأرسطو من خلال غاياتهم السياسية التي جعلت من التربية قاعدة لبناء الإنسان والدولة، لذا جاءت ورقنتا هذه لتوضح أهمية التربية عند هؤلاء الفلاسفة وأبرز القواعد التي تتشكل منها.

الكلمات المفتاحية: تربية؛ مساواة؛ تعليم؛ مجتمع؛ إنسان.

Abstract: Greek philosophy constitutes an important intellectual reference for the human heritage in many fields of knowledge, and perhaps the problem of education is the most prominent of these issues, despite the development in the most prominent sciences related to anthropology and sociology (human and social sciences) and the attempt to imitate the material and experimental sciences in accuracy and testing, but the Greek visions It is still present in general theories in this field, similar to the sciences of education, which has become an important discipline that all scientific institutes and educational systems are trying to adopt, especially after the establishment of the Institute of Educational Sciences in Geneva in 1902. The philosophy of education, which is considered part of this general scientific field, has laid its foundations for philosophers. Greece is like Socrates, Plato and Aristotle through their political goals that made education a basis for building the human being and the state. Therefore, this paper came to explain the importance of education for these philosophers and the most prominent rules that form them.

Keywords: Education; equality; education; society; man.

*المؤلف المراسل.

1- مقدمة

ان أهمية التربية لاسيما عند اليونان متعددة الجوانب، تاريخيا وأديبا وفلسفيا. فهي تعتبر مرجعا تاريخيا من نواحي عديدة، باعتبار أنها تطلعتنا على المناخ الفكري والثقافي الذي كان سائدا عند اليونان من طاليس الى أرسطو، وتبرز لنا أهمية الاشكاليات الفكرية والفلسفية لتلك الحقبة، كما تضع أهم أعلام وفلاسفة وأساتذة أثينا في الميزان، وعلى رأسهم سقراط وأفلاطون وأرسطو، وعدد كبير آخر من الشخصيات التي ستلعب دورا بارزا في الحياة التربوية الآتينية، هذا بالإضافة الى أن التربية عند اليونان هي قبل كل شيء عمل فلسفي باعتبارها أولى القضايا التي ستشكل الاختلاف بين سقراط والسفسطائيون الذين بذلو كل ما في وسعهم لإفساد عقول الشباب في ذلك العصر، كما ستكون أولى محاورات أفلاطون في التربية لإصلاح ما أفسده السفسطائيون وذلك في محاوره جورجياس، حيث سعى أفلاطون في هذه المحاوره أن يضع كل من جورجياس السفسطائي وسقراط الآتيني وجها لوجه رغم الخصومة الشديدة بينهما ، هذه الخصومة التي يمكننا أن نعتبر سببها تربوي أصيل باعتبار النقاش السائد آنذاك بين الفلاسفة وعلى رأسهم سقراط من جهة، والسفسطائيون يتقدمهم جورجياس من جهة أخرى، فالحوار والخلاف كما هو معلوم اشتد بينهما حول مسألة الفضيلة التي كانت في ذلك العصر ومازالت الى اليوم مسألة تربوية قبل أن تكون قضية فلسفية أو دينية، فمهما تعددت الميادين ومهما اختلفت الأطروحات حول الفضيلة الا أنها تبقى في الأخير مسألة تربوية بشكل خاص. أما نحن ما يهمنا من اعداد هذه الورقة ليس دراسة فلسفات التربية على أهميتها وضرورتها للمتقف العربي بصفة عامة، ولا لإبراز للمشتغلين بالفكر التربوي ما يجب القيام به فهذه مجرد خطوة أولية ولكنها خطوة على قلة أهميتها تمهد الطريق لخطوة أخرى أكثر أهمية وخطورة ألا وهي أين نحن من كل هذه الفلسفات؟ وماالذي يمكن الاستفادة منه من خلال دراسة الفكر الفلسفي اليوناني وأبعاده التربوية؟ وهل مازال في هذه الحقبة الذهبية من تاريخ البشرية ما يمكن الاستفادة منه؟ أم أن المشروع التربوي اليوناني قد أنجز واكتمل ومن ثم يجب اعلان نهايته واكتماله وبالتالي ضرورة البحث عن مصادر وأسس أخرى أكثر نجاعة وأكثر ملائمة لما نعيشه في حاضرنا؟

1- التأسيس اليوناني للفكر التربوي:

1.1- في معنى التربية:

"التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا. ومن هنا نقول ربيّت الولد، إذا قويّت ملكاته، ونميت قدراته، وهذبت سلوكه حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة، وتقول تربي الرجل إذا أحكمته التجارب ونشأ نفسه بنفسه" (جميل صليبا ، 1994 ، ص266)، أي أنّ التربية تعتمد على مسلمة، وهي أنّ الإنسان قابل للتغير إن كان ذلك كثيرا أو قليلا، فالإنسان إذن قابل للتربية ما دامت أنّها علم يبحث في أصول هذه التنمية ومناهجها وعواملها الأساسية وأهدافها الكبرى" (إبراهيم مذكور، 1983، ص42). ومن شروط التربية الصحيحة، أن تتّمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلفية،

حتى يصبح قادرا على مؤالفة الطبيعة، يجاوز ذاته، ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس، "وتعد التربية ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموها وتطورها" (إبراهيم مذكور، 1983، ص 22).

يحدد جميل صليبا في معجمه " للتربية طريقتان: الأولى أن يربّي الطفل بواسطة المرّي، والثاني أن يربي نفسه بنفسه، فإذا أخذت التربية بالطريق الأول كانت عملا موجّها، يتم في بيئة معينة، وفقا لفلسفة معينة، وإذا أخذت بالطريق الثاني كانت عملا ذاتيا يترك فيه الطفل على سجيته ليتعلم من نشاطه ألقصدي". (جميل صليبا، 1994، ص 267) ولتوسيع هذه النظرة نحاول أن نجيب على هذه المسألة المرتبطة بعلاقة التربية بالوراثة، " التربية والوراثة متقابلتان، والفرق بينهما أنّ ماهية الأولى التغيّر، و ماهية الثانية الثبات. فإذا كان الموجود الحي يتغير بتأثير غيره تارة، و بمؤالفة الظروف التي يعيش فيها تارة أخرى، فمرد ذلك إلى التربية، وإذا كان يميل بفطرته إلى الاتصاف بصفات نوعه، فمرد ذلك إلى الوراثة" (أحمد شبشوب، 1986، ص 7، ص 22) وقضية الوراثة أو البيئة ومدى تأثيرهما في العملية التربوية، طرح اختلفت حوله آراء الفلاسفة والمنظرين في تحديد كنهه، وهذا حسب اتجاه كل فيلسوف، فمثلا إذا أخذنا رأي دوركايم فهو يعتبر أنّ التربية هي عمل تقوم به الأجيال لتكوين الصغار الذين لم ينضجوا بعد للحياة الاجتماعية، "وتهدف أساسا إلى تطوير عدد من الملكات الجسدية والفكرية والأخلاقية والروحانية لدى الطفل، أي الملكات التي يتطلبها منه المجتمع المدني عامة، والوسط الاجتماعي الذي سيعيش فيه خاصة." (أحمد شبشوب، 1986، ص 22) فمجمّل الحديث أنّ للمجتمع الدور الكبير في إعداد الطفل حسب متطلباته، بقطع النظر عن مؤهلاته أو وراثته.

2.1- العلاقة المتبادلة بين الفلسفة والتربية:

في تحليلنا لهذه الفكرة التي تشير إلى حقيقة العلاقة بين الفلسفة والتربية، من الضروري تبيان الحقيقة القائلة بأنّ الفلسفة والتربية وجهان مختلفان لشيء واحد، لأنّ في مفهومنا الشامل الذي نطلقه على الفلسفة، بأنّها فلسفة الحياة. فهي تمس كل جوانب الإنسان المتعددة من حياته الفكرية والاجتماعية، هذا من جهة، ونقول عن التربية أنّها هي الوسيلة أو السبيل الذي نراهن عليه في نقل الفلسفة وترجمتها في شؤون الحياة، ومن ثمّ لتبيان الترابط الحميم بين الفلسفة والتربية. و عليه "فإننا نقبل التعريف القائل بأنّ التربية هي فلسفة عملية تلامس الحياة الإنسانية بكل تفاصيلها، وإذا كان هذا مضمار عمل التربية، فإننا نقول دون تردد أنّ الفلسفة والتربية وجهان لعملة واحدة" (محمد الفرحان، 1999، ص 35)، فإلى جانب اهتماماتها الخاصة تنظر الفلسفة في الافتراضات الأساسية لفروع المعرفة الأخرى، فعندما توجه الفلسفة اهتمامها للعلوم، فنحصل على فلسفة العلوم، أو تفحص الفلسفة المفاهيم القانونية، فنحصل على فلسفة القانون. وكذلك نحصل على فلسفة التربية، إذا اهتمت الفلسفة بالشؤون التربوية كطرق التعليم، ومناهج التدريس، والبحث في شخصية المترّي بمعرفة ميولاته ورغباته.

وعلى هذا الطريق الذي تتسق به الفلسفة بين العلوم المختلفة، نجد فلسفة التربية تفسر هذه المكتشفات من حيث أثرها في التربية، ولتعزيز هذا الانسجام بين الاتجاهين نستعرض بعض الآراء لباحثين من أمثال ربول الذي يقول في هذا السياق: "عندما نسأل الفيلسوف عن ماهية الإنسان، وعمّا يميزه عن الحيوان، نراه يجيب بأنّ الإنسان يمتاز عن البهائم بالثقافة واللغة والشغل، وأضيف بأنّه لا لغة ولا ثقافة ولا شغل بدون تربية"، (أحمد شبشوب، 1986، ص 47) ويضيف كانط على هذا بأكثر وضوح عندما يقول: " إنّ ما يميز الإنسان عن غيره من الحيوانات هو أنّ الإنسان لا يمكن أن يسمو إلى مستوى الإنسانية إلاّ عن طريق التربية " (أحمد شبشوب

1986، ص 47)، وللتعمق أكثر في تبيان هذه الجدلية، نقول أنّ من طبيعة الإنسان كونه حيوان اجتماعي، وأنّ التربية لن تتم إلا في إطار هذا الكل، وهذا ما أبانت عليه الاكتشافات الأنتربولوجية وأيدته مواقف الفلاسفة، بحيث بيّنت أنّ الإنسان المعزول عن التربية الاجتماعية يبقى في مستوى البهائم، فقد اعتبر ألان أنّ الإنسان لا يمكنه بلوغ مرتبة الإنسانية إلا بالاعتماد على المجتمع البشري والتواجد فيه وهذا ما أشار إليه ملسون حيث أكد أنّه لا يمكن " لأي إنسان أن يبلغ أي مستوى من الإنسانية إلا إذا قام إنسان بتربيته، لأنّ الإنسانية ليست شيئاً موروثاً، وإنما هي ميراث لا بد أن يسعى الإنسان للحصول عليه بمعونة إنسان آخر"، (أحمد شبشوب، 1986، ص 47) إضافة إلى كل هذه الحقائق، فالترربية كذلك تطرح قضية الأهداف، وهنا تكون فلسفة التربية هي الأداة الفكرية الموصلة إلى إجلاء هذه القضية، وهذا ما استنتجته من كلام ربول حينما يقول: " تهدف فلسفة التربية إلى جعل المري يعي ما يقول، وكذلك ما يريد الوصول إليه، أي أهداف عمله التربوي، ذلك أنّ علوم التربية تدرس الطفل والمجتمع المدرسي وحركية الفصل... أي الوسائل التي ترشد العمل التربوي، بينما الفلسفة تفكر في الغاية القصوى التي يهدف العمل التربوي الوصول إليها ". (أحمد شبشوب، 1986، ص 48)

إنّ تكوين الإنسان يُعدّ مبدأ محورياً تتشده التربية، وهذا ما يدفعنا إلى معالجة قضية مهمة ذات صلة بالموضوع (التربية) ألا وهو الإنسان، وبالتالي نطرح السؤال الآتي: ما هو نمط الإنسان الذي نريد تكوينه؟

2.1- الإنسان والتربية:

إنّ ضعف الإنسان الجسدي قد جعله بحاجة أكبر من أيّ حيوان آخر إلى الحياة في المجتمع، ولعلّ النزعة الاجتماعية لديه ليست متمثلة في الخوف أو القلق، بل بظهور الحياة في المجتمع المبنية على الاتحاد، وقصد ترسيخ هذه المبادئ تظهر الحاجة إلى التربية، ومن ثمّ تضحى هذه الأخيرة ضرورية للفرد ولمجتمعه الذي يعيش فيه. وذلك كي يتيح لكليهما أن يستخلصا الفائدة اللازمة من تلك الممتلكات الجمعية، كالصناعة اليدوية واللغة وغيرها من الصفات الروحية التي يعوّض بها الإنسان عن نقائصه البيولوجية الجسدية. ومن ثمّ فإن وضع مذهب في التربية ليس ممكناً إلا بمقدار ما يستند إلى فلسفة للإنسان ضمن الوجود. وقد أثبت لنا علم النفس أنّ النمو النفسي لدى الإنسان يقوده من حالة نفسية غير متميزة إلى توكيد شخصيته أمام الكون عن طريق تقوية إدراك الواقع، تلك الوظيفة التي تمكنه من إدراك ذلك الكون والتكيف معه، واتخاذ موقف منه. وهذا لا يتم إلا عن طريق التربية، فالمستوى النفسي المشار إليه هو في الحقيقة مستوى الوعي الذي يتم فيه تركيب الكل، ذلك أنّ السبيل الوحيد للعثور على الإنسان، هو بالبداهة كأن نفترض أنّ الجسد ليس سوى انعكاس للوعي في العالم. والكائن الاجتماعي ليس سوى انعكاس للوعي المحيط الذي يتعايش معه، وأنّ الوعي نفسه أخيراً ليس سوى عودة الإنسان إلى ذاته، فمن هو الإنسان إذن؟ و ماهي المشاعر التي تؤثر في وجدانه؟ وتتحكم في نوازه؟ فهذه الإشكالات في واقع الأمر ماهي إلا مشكلة التربية الأولى والأخيرة. أي المشكلة التي تشكل ما نسميه فلسفة التربية أو فلسفة الإنسان، ومن ثمّ فمن واجب التربية أن تؤدي رسالتها، أي طبع الإنسان بأن تمنحه الاستقلال الذي تتوقف عليه سيطرته على ذاته، وبالتالي على الأشياء طبيعية كانت أو اجتماعية.

3.1- سقراط والتربية:

إنّ اهتمام سقراط بإصلاح عقول الناس وإعطائهم المعرفة الصحيحة التابعة من العقل هو الذي جعله يولي للتربية أهمية كبيرة. كان مؤمناً بديمقراطية التعليم، فلا فرق في المناصب أو في المراكز، وكل الناس

سواسية لديه. وبالتالي فكره كان ضدّ التعليم القائم على الأرسقراطية والتمييز، وعليه فإنّ منهجه كان قائم على أن تفوق الإنسان يكمن في قدرته على طرح الأسئلة على نفسه وعلى الآخرين، وكان يعلن دوماً أن حكمته ناتجة عن اعترافه بجعله، إنّ منهج الحوار الذي اعتمد عليه معروف باسم النخوس (تعني المجادلة وطريقة هذا المنهج تعتمد على المناقشة والسؤال والجواب، وفي الغالب يتم بين شخصين أو أكثر) " والغاية من هذا الطرح الذي ينتهي في الغالب بعلامة استفهام هو تمكن سقراط من تحطيم صنم الأستاذ القابع في أعماق المرید، بشكل يسمح بأن تتولد لديه رغبة حقيقية في التحكم في دواخله، ما يمكنه من الاستقلال الذاتي الذي لا يمكن أن يمنحه سوى العمل بمبدأ اعرف نفسك بنفسك" (محمد بوبكري، 1997، ص15). إنّ هذا العمل مفاده التأكيد على الحرية الفكرية، ويمكننا اعتبار موته بسبب تهمة إفساد عقول الشباب دليل على نجاح نهجه التربوي، بحيث بثّ في عقول هؤلاء المریدين عدم تقبل أفكار الواقع. وحتى اليوم يظهر هذا المنهج خصوصاً في المنهج العلمي، الذي يكون الافتراض أولى مراحلها. أمّا ما يخص المواد التعليمية، فنقول أنّ سقراط اهتم عموماً بالمجالات التي تعمل على تهذيب النفس وكذا الجسم، وهذا ما يفسر اعتناؤه بالتربية الرياضية، لكنّ ليست الرياضة القديمة التي تعتمد على الأكل والتمارين القاسية التي تقوي الجسد وتعطي للإنسان خشونة وغلظة، وإنّما الرياضة التي تكون عن طريق الرقص والإيقاع الذي يكسب الجسم الرشاقة والخفة.

إنّ اهتمام سقراط بالمواد العلمية والأدبية لم يكن كبيراً، وهذا راجع أساساً لبعدها عن العمل من جهة وابتعاد هذه العلوم عن خدمة موضوع النفس من جهة ثانية الأمر الذي يعد المحور الرئيسي في الفكر السقراطي، ثمّ إنّ طبيعة هذه العلوم لا تتلاءم مع هذه الطريقة، "لأنّ المادة هنا مشتركة بين أفراد النوع الإنساني ولا تدخل في نطاق خبرة الفرد الواحد، ولأنّ طريقة الحوار لا تمدنا من تلقاء نفسها بالمادة، فهي لا تصلح في الرياضيات والتاريخ والأدب واللغة". (العامرية، محمد حسن، 1999، ص109). إنّ التربية السقراطية كان القصد منها تكوين إنسان كامل، مستثمر لحرية ولقدراته الذهنية التي تثبت كينونته، لا تلك التربية التي لا تهدف إلاّ للتعليم والتعليم المفروض قهراً الذي لا يراعي أدنى ضوابط التربية - نفسية المتربي - أو أخلاقيات التكوين، وعادة ما يكون هذا الأمر من مشاريع الدولة حسب مفهوم نيتشه الذي يعتبر: " أنّ التربية ما هي إلاّ أداة قمع توظفها الدولة لتحقيق مصالحها، إنّها لخدعة تمارسها الدولة في استلاب الأجيال الشابة، إنّها أداة للتلاعب و[المناورة] تعمل على تشويه وعي الإنسان وإلغاء ذاته، وبالتالي إخضاعه للسلطة". (محمد بوبكري، 1997، ص59).

4.1- التربية الأفلاطونية: (النظرة الأفلاطونية للإنسان) :

ولا شك أنّ اهتمام أفلاطون بدراسة الإنسان نابعة من تشبعه بآراء أستاذه سقراط، خاصة المتعلقة بالمبدأ الشهير " اعرف نفسك بنفسك" من أجل معرفة هذا الكائن الإنساني حتى يتسنى لنا " تنمية استعداداته الجسدية والفكرية، كما ينمي مشاعره الاجتماعية والجمالية والأخلاقية في سبيل انجاز مهمته كإنسان ما استطاع إلى ذلك سبيلاً". (ريول، أوليفيه، 1986، ص14) وهذا التكوين يكون بتضافر مجموعة من العوامل، كخبرة الحياة ودور المربي، فقد قال أفلاطون: " إنّ تكوين إنسان يتطلب خمسين سنة". (ريول، أوليفيه، 1986، ص13)، كما توصلت دراسة أفلاطون للإنسان إلى أنّ أفعاله صادرة عن ثلاثة أشياء، الشهوة ومركزها البطن، وهي مقر النشاط. والعاطفة ومقرها القلب، وهي التي تمنح الإنسان القوة والحماسة وتزوده بهما، أمّا القوة الثالثة فهي العقل والذي يعتبره أفلاطون المرشد ومركزه الرأس، فبناء على هذا التصنيف تتفاوت طبقات المجتمع وتختلف مراتب

الناس، فهناك صنف من تتغلب عليهم شهوتهم وتسيطر عليهم نزواتهم، وهم الطبقة العامة، وأناس تتحكم فيهم العاطفة، أو نقل القوة الغضبية، وهم الجنود الذين يقومون بمهمة الدفاع عن الدولة، أما الصنف الأخير فهم الذين يغلب عليهم العقل والحكمة وهم كبار المفكرين. إن هذا التقسيم الذي وضعه أفلاطون هو الذي سيحدد نظام التربية، بغية تحقيق الجمهورية الفاضلة، وهذا ما حدا بالفيلسوف روسو إلى القول عن كتاب الجمهورية: "بأنه ليس كتاب في السياسة كما يتوهمه من يحكمون على الكتب بعناوينها، بل هو أجمل سفر في التربية خرج من يد البشر"، (جان جاك روسو، 1956، ص30) وأما بخصوص القوى الثلاثة التي تكوّن كل إنسان، فهي على حسب التنظيم الاجتماعي تماما ووفق تعاليم الفلسفة الأفلاطونية، ومن ثمّ الطبقة حالة منسجمة مع الطبيعة، وفي هذا السياق تطرح فكرة العدالة بمنظور أفلاطون من خلال الحديث الدائر في بيت سيفا لوس مع جماعة فيها شقيقا أفلاطون، "يسأل سيفا لوس، ماهي أعظم البركات والخيرات التي جنيتها من الثروة والمال؟ فيجيب سيفا لوس، إن الثروة نعمة له إذا مكنته من أن يكون سخيا وعادلا، ويسأله سقراط بطريقته، ماذا يقصد بكلمة العدالة؟" (ويل ديورانت، 2004، ص20)

ومن هنا تبدأ المسألة تتعقد لأنها تبحث في أصعب الأشياء وهو التعريف وتحديد المقصود، ثم يقول أفلاطون: "إن العدالة كانت ستكون بسيطة لو كان الناس بسطاء ولكانت الفوضوية الشيوعية تكفي في مثل هذا الحال". (ويل ديورانت، 2004، ص23) وهنا يتحدث عن الحيلة الأولى للإنسان الذي كان يعيش حياة طبيعية هادئة، تخلو من الملكية، ثم وتبعاً لتطور الحياة الإنسانية نجد أفلاطون يضع تعريفا للعدالة بقوله: "هي أن يملك الشخص ويفعل ما هو ملكه". (ويل ديورانت، 2004، ص41) إن المجتمع العادل هو الذي يقوم فيه كل فرد بواجبه الذي أعدته إليه الطبيعة، فلا تتدخل فئة في عمل فئة ثانية، ويجب على الجميع أن يتعاون على تكوين وحدة كاملة متناسقة الأجزاء.

أسس التربية الأفلاطونية:

منهج التربية الأولى: إن منهج أفلاطون التربوي يبدأ أولا بمسلمة مفادها أن الأطفال مؤهلين للتربية، و بالإمكان أن نصنع منهم رجالا أكفاء للدولة، ولتحقيق هذا المطلب يجب أن نتعهد بحمايتهم أولا من آبائهم ومن عادات مجتمعهم. وبداية هذا الأمر يقتضي منا أخذ جزء من بلد، ونضع فيه الأولاد حديثي العهد. وهذه الرعاية الأولى تتكفل بها الدولة، ومن مميزات هذه المرحلة أنه "يجب منح الأطفال المساواة العامة في فرصة التعليم، لا أحد يعرف من أين يشتعل ضوء العبقرية، بحيث يجب أن نبحت عن ضوء العبقرية هذا في كل مكان، وفي كل نوع وجنس، والهدف الأسمى من كل هذا هو تعميم التعليم في البلد"، (ويل ديورانت، 2004، ص28) إن الألعاب في هذه الفترة ضرورية للأطفال خاصة في سن الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة، ومن المهم أن نجنتب أسلوب التحقير أو أن نلجأ للعقوبات التي ستقضي بالطفل إلى العنف أكثر، وهذا بالفعل ما أثبتته الدراسات الحديثة، بحيث أجرى علماء أمريكيين تجربة حول مجموعة من الأطفال لمعرفة تغيرات سلوكهم تحت عملية الضرب في سن الثالثة، فتوصلت الدراسة إلى أن في سن الخامسة يزداد الطفل أكثر عدوانية من طبيعته العادية، لهذا من طبيعة الولد أن يكون اللهو جزءا مهما من حياته الأولى، "في هذا السن يجد فيه الأطفال الألعاب أموراً طبيعية، يسعون إليها كلما اجتمعوا سوياً، لهذا نلاحظ أن الأطفال الذين بلغت أعمارهم بين الثالثة والسادسة، يتجمعون في كل قرية في الأماكن المخصصة للإلهة" (أنطوان الخوري، 1962، ص18).

وبهذا يكون التعليم معنيا بالدرجة الأولى بأجساد الأطفال، بشغلهم باللعب والرياضة البدنية حتى تقوى صحتهم في العشر السنوات الأولى، ومن ثم لا حاجة لنا بعد ذلك للعلاج، لأن الحاجة إلى الدواء أو الطبيب ناجمة عن حياة الترف. إن نظام الحماية (الوقاية) والجهد البدني كفيل بالمحافظة على صحة الأطفال وعليه فإن الأطباء غير مرغوب فيهم. ونفس المنحى نستمد من الفلسفة الروسوية التي تجعل من إميل الشخص الغني عن الطبيب إلا في الحالات القصوى. لأن الطبيب حسب روسو موحى بالموت والذي يجعل من الفرد يعيش حالة القلق النفسي التي تؤثر على حياته.

وتجدر الإشارة إلى أن الرياضة البدنية والتدريب العسكري لا يكفي، لأنه يجعل من الشخص أكثر خشونة، ونحن لا نريد أبطالا حملة الأثقال أو مصارعين فقط، بل نريد أفرادا يتسمون باللطافة كذلك. وتعد الموسيقى العامل الوحيد الذي يحقق هذا الانسجام والتناسب ومحبة العدل، ومن ثم فمن غير المنطقي أن نجد شخصا تم بناءه بهذه الطريقة المتوازنة، طالما مستبدا، " إن الموسيقى ثمينة ونفيسة، لا لأنها تحدث صفاء في الشعور والخلق، ولكن لأنها تحفظ وتسترد الصحة" (ويل ديورانت، 2004، ص 29). إن الموسيقى تضيف لطفا وصحة إلى الروح والجسم، لكن هذا لا يعني إطلاقا الإفراط فيها لأن هذا العامل قد يعكس بصورة سلبية فيضعف شخصية المتربي، وبالتالي دمج الرياضة والموسيقى أمر واجب حتى في تربيتنا المعاصرة، لذا نجد أفلاطون يفرض رقابة على الشعراء ويحدد أصناف معينة من الموسيقى التي توافق مع النظام التأهيلي لإعداد أفراد أقوى تقوى بهم الدولة. أما عندما يبلغ الأطفال سن العاشرة، تبدأ عملية الفصل بين الجنسين الذكور والإناث وتوجه كل من الفئتين إلى التمارين المناسبة لأعمارهما وطبيعتهما، " فيتعلم الصبيان ركوب الخيل، وإطلاق السهم واستعمال الرمح والمقلاع. أما البنات فيتدربن على ذات الأمور، وفي حال رفضهن يتعلمن نظريا على الأقل". (أنطوان الخوري، 1962، ص 19).

ان الرياضة في نظر أفلاطون فرعين: رياضة المصارعة، ورياضة الرقص، وهذه الأخيرة تقوم على حركات تحاكي أقوال ربة الشعر، والغرض من ذلك هو المحافظة على طابع النبل والحرية، أما غرض المصارعة فهو إكساب جميع أعضاء الجسم الصحة والخفة والجمال. ووظيفة الموسيقى تتوافق مع المراحل التربوية بحيث لا تبقى كما كان الشأن في المرحلة الأولى بحيث تصبح مساعدة على تعلم مواد تعليمية، فاستمرارية الموسيقى تتجسد فيما بعد على شكل " الغناء ألكنائسي والألعاب العامة، وتستخدم في تقديم أشكال مهذبة تمهيدا لعلوم لا تثير الرغبة أحيانا في نفسية التلاميذ، كالتاريخ والرياضيات والعلوم. إذ لا يوجد سبب يمنعنا من تسهيل هذه العلوم الصعبة وتعليمها في وضعها في أبيات من الشعر وتجميلها بالأغاني"، (ويل ديورانت، 2004، ص 30) وعلاوة على هذه الوسائل التربوية التي يطرحها أفلاطون تضاف إليها طريقة أهم من ذلك وهي طريقة المعاملة التي تحتم على المربي ألا يفرض على العقول المواد التي لا يتقبلها، لأن الحرية يجب أن تكتنف العملية التعليمية، لأن المعرفة التي يتم الحصول عليها بالإرغام لا تتمي العقل.

بعد نهاية هذه المرحلة التي اتسمت بالمساواة في التعليم والتوافق بين العامل النفسي والجسدي تبدأ العملية الثانية، مرحلة تبدأ فيها عملية الانتقاء عن طريق الامتحانات المتضمنة للجانبين النظري والعملي، امتحان عادل، خال من المحاباة. يمتاز بديمقراطية تامة يحدد على أثره وظيفة الممتحن سواء باتجاهه إلى الزراعة أو إلى الجيش أو يكون فيلسوفا، " وأولئك الذين ينجحون في هذا الفحص الأولي يتلقون عشر سنوات أخرى من التعليم

والتدريب الجسدي والخلقي والعقلي، وبعدئذ يواجهون امتحانا آخر أشد صعوبة من الأول، وأولئك الذين يفشلون في هذا الامتحان الثاني يصبحون مساعدين أو مساعدين تنفيذيين أو ضباطا عسكريين في الدولة"، (ويل ديورانت، 2004، ص31) ولتجاوز هذه المسألة، أي الإخفاق الذي يتلقاه مجموعة من الطلاب، فإن أفلاطون في معالجته لهذه القضية، يستعين بالعامل الديني الذي يحاول عن طريقه توصيل فكرة العدالة الإلهية التي أرست هذا القدر، انطلاقا من اختلاف المعادن وفي هذا الصدد يورد هذا الكلام: "أيها المواطنون إنكم إخوة ومع ذلك فقد خلقكم الله مختلفين، وبعضهم تتوفر فيه مقدررة الزعامة، وهؤلاء خلقهم الله من الذهب... والبعض خلقهم من الفضة... والبقية خلقهم من النحاس". (ويل ديورانت، 2004، ص32) أما بخصوص المتفوقين سنقوم بتعليمهم الفلسفة، حين يبلغوا سن الثلاثين، لأن الفلسفة تهدف إلى تكوين الفكر الصحيح، ولتحقيق هذا المطلب يجب أن نعلم أبنائنا نظرية المثل، لأن معرفة الحقائق هو الأهم من معرفة صور الأشياء. وهذه الفترة من المرحلة الإعدادية النظرية، التي تمتد من الزمن خمس سنوات غير كافية، بحيث يجب على فلاسفة الغد الذين سيحكمون أمور الناس ألا يبقوا في الخيال، بل يجب أن يعايشوا الواقع، وهنا نكون بصدد التكوين العملي، والذي سيدوم إلى غاية بلوغ الخمسين، وهنا يكونوا مستعدين للقيام بأدوارهم على أتم وجه.

وخلاصة التربية الأفلاطونية أنها تهدف إلى تعميم التعليم في الدولة وجعله إجباريا ومتساويا أمام كل أبناء الوطن لترسيخ ثقافة الانتماء والمواطنة، فتربية أفلاطون بالرغم مما تتضمنه من إيجابيات، إلا أنها احتوت على سلبيات جعلت من نقاد التربية يتوقفون عندها بالنقد والتحليل، ويعد الفيلسوف الفرنسي روسو من أبرزهم بحيث عارض نظام التعليم المتعلق بالنساء على وجه الخصوص، فإذا كان أفلاطون قد اعتبر أن المرأة لا تختلف عن الرجل في أداء واجبات المجتمع، فإن روسو يحصر وظيفتها في كفاية زوجها وحسن تصرفها لشؤون بيتها، كما أن الحصول على فيلسوف بمثابة الحاكم الذي يسوس شؤون الدولة، لم يكن هدف روسو بل الوصول بالتربية إلى تكوين إنسان مفيد لبلده ونفسه، أو الإنسان الطبيعي النادر حسب تعبيره.

2 - الموقف الأرسطي من فئات المجتمع:

إن إقرار أرسطو بهرمية المجتمع وتعدد فئاته، ناجم من تأثير الواقع الأثيني الذي جعل من الطبقة قاعدة أساسية في تكوين أي مجتمع، وانتظامه يكون باحترام كل فئة للطبقة الأعلى منها اجتماعيا، وإن كان قد أشار في العملية التربوية إلى وجوب جعل المساواة الأصل التي تتبنى عليه هياكل الدولة الأخرى، فالتفاوت الذي يقره أرسطو هو الذي أوجدته الطبيعة، وعليه جعل من الرق نظاما مشروعاً، فصنف من الناس ولدوا عبيداً، وآخرين خلقوا للحكم لأنهم سادة. أما الحديث بخصوص مكانة المرأة، فهي أقل شأنًا من الرجل في عديد النواحي، فلا يجب أن تجاري الرجل في ميدان التربية ولا أن تكون حاكمة. و هنا نكون بصدد خلاف جوهري عن النظرة الأفلاطونية، الداعية إلى المساواة المطلقة بين الجنسين خاصة في التربية الأولية، ولتوضيح هذا الموقف يورد أرسطو الكلام التالي: "إن المرأة من الرجل كالعبد من السيد، وكالعمل اليدوي من العمل العقلي، وكالبربري من اليوناني، والمرأة رجل ناقص، والذكر متفوق بالطبيعة والمرأة دونه بالطبيعة، والأول حاكم، والثانية محكومة، وهذا المبدأ ينطبق بالضرورة على الجنس البشري". (ويل ديورانت، 2004، ص67) ونتيجة لهذا التقسيم فالطبقات المكونة للمجتمع حسب أرسطو هي كما يلي:

طبقة العبيد:

إنّ طبيعة العبد هو ذلك الإنسان " الذي لا يملك نفسه بطبيعته، بل هو ملك إنسان آخر، إنّما هو بطبيعته كذلك". (فرانسييس وولف، 1994، ص 99-100) ويشمل هذا الصنف كل شريحة العمال وأصحاب المهن والحرف، وهي مهن وضيعة بالموازاة مع المهن النظرية، لأنّ هذا الفارق تقريبا هو الفاصل بين النظرة اليونانية والنظرة الشرقية التي تمجد العمل وكل الصناعات. وعموما فإنّ هذه الطبقة تشمل الغرباء التي تكون حياتهم خاضعة للأحرار.

إن طبقة العبيد بصفة عامة لم يكن لها نصيب وافر من التعليم، الحرية، والمواطنة. أمّا الفئة الثانية في المجتمع فهم الجنود، الذين تقتصر وظيفتهم في الحفاظ على أمن الدولة، وأمّا الطبقتين الأخيرتين فهم طبقة المفكرين والمدرين، الذين بإمكانهم أن يصلوا إلى الحكم، لأنهم يمتازون بتفوق عقلي وعلمي.

1.2- النظام التربوي في فلسفة أرسطو:

في قراءتنا للتربية الأرسطية نكتشف أنّ المعلم الأول يدعو إلى تقسيمين مختلفين من الناحية التنظيمية، فيوجد وفقا لأرائه التربوية، تربية نظامية وأخرى غير نظامية:

التربية غير النظامية:

لم يقتصر اهتمام أرسطو بالتربية الأولى لدى الطفل، بل تجاوز ذلك إلى حدود ما قبل الولادة، من خلال دعوته إلى التوافق بين الزوجين، خاصة في ما يتعلق بالمستوى المعرفي والاجتماعي، وحتى عامل السن الذي يعتبر مهم في استقرار الحياة الزوجية وبالتالي الأسرة، وفي هذا الإطار ينصح الرجل " بتأخير سن الزواج حتى يبلغ السابعة والثلاثين من عمره، وبعدئذ يتزوج من امرأة في نحو العشرين من عمرها، والذي يدفع أرسطو إلى هذا الحساب في الزواج، هو التفكير في أنّ هذين الشخصين سيفقدان قوتها التماسلية وعاطفتها في نفس الوقت تقريبا، لأنّه إذا كان الرجل لا يزال قادرا على إنجاب الأولاد، بينما تكون المرأة عاجزة عن الحمل أو العكس". (ويل ديورانت، 2004، ص 67) وكل هذا مرده إلى ضمان طمأنينة الأسرة لأجل الحفاظ على الأولاد، وبعد هذا يلزم " الأمهات بنظام غذائي معين طوال فترة الحمل، وذلك حرصا على سلامة الجنين، كما ارتأى أن تكثر الأم الحامل من الحركة أثناء الحمل، لضمان صحة الجنين" (العامرية، محمد حسن، 1999، ص 135).

ولتقنين هذه العملية أكثر-الحياة الزوجية- يرى أرسطو أنّ تدخل الدولة ضروري، لضبط عملية الزواج، بأن لا تبيحه إلاّ للأصحاء، لأنّ الأزواج المرضى سيكون إنجابهم خطر على الأولاد، وبالتالي الدولة مادام أنّها هي المسئول الأول عن رعايتهم، وفلسفة أرسطو تقضي بأنّه يجب التخلص من الأبناء المشوهين حتى لا تتحمل الدولة مشاققة تربيتهم، وعليه نظرة متطابقة إلى أبعد الحدود مع الفكر الأفلاطوني، ولتفادي كل هذا فلا بد من القيام في نظر أرسطو بعملية فحص الأولاد الجدد. أمّا فيما يخص تربية الأطفال الصغار أو ما يعرف بالطفولة المبكرة، فإنّ النظرة الأرسطية تختلف عن الوجهة الأفلاطونية في هذه العملية الأولى. فإذا كان الطفل تتعهد به الدولة وتصهر على تربيته بتوفير له كل الشروط التي من شأنها أن تجعله مستقبلا عنصرا فعّالا في إطاره الاجتماعي، فإنّ أرسطو يرى في المنزل المدرسة الأولى للقيام بهذه الوظيفة، فالأسرة هي اللبنة الأساسية في هذا التكوين الأولي حتى سن الخامسة. وفي هذه المرحلة يقتصر غذائه على اللبن والقليل من الخمر، كما تمتاز حركاته بالحرية دون قيد أو انضباط، مع جعل من التسلية واللعب النشاط الرياضي المعتمد و المتسم بالتلقائية، لكنّ هذا الأمر لا يعني تركه يندمج في سلوكيات المجتمع اللا-أخلاقية، وفي هذا الصدد يحذر أرسطو حتى من

مخالطته للعبيد أو الخدم. وهذا الإعداد يتواصل إلى غاية سن السابعة، "بتوفير له النشاط البدني، مع ضرورة توجيه العناية للقصص التي تروى للأطفال في هذا السن، وأن توفر البيئة التي لا يسمع فيها الأطفال قولاً سيئاً، ولا يرون سلوكاً غير محبب" (إبراهيم سمعان وهيب، 1961، ص248).

التربية النظامية:

أمّا الأمر بالنسبة للتربية النظامية فهي تنقسم إلى مرحلتين: الأولى: من سن السابعة حتى البلوغ (الرابعة عشر) والمرحلة الثانية من البلوغ حتى سن الواحد والعشرون.

المرحلة الأولى (07-14):

بعد التربية الأولى والتي أطلقنا عليها بالتربية الغير منظمة، والتي قصدت منها الفترة التي تكون فيها الأسرة هي العنصر المهم في هذا الإعداد، سنأتي إلى المرحلة الثانية التي تمتاز بالتنظيم، والتي تعد الدولة هي العنصر المؤثر في التكوين التعليمي، بحيث " تتواصل العناية بتربية الجسم أكثر من تربية العقل، لأنّ التربية الأولى يجب أن تسبق الثانية، ويمارس الأولاد في هذه الفترة التمرينات البدنية الحقيقية". (إبراهيم سمعان وهيب، 1961، ص249) وبما أنّ الدولة هي المسؤولة عن هذه المرحلة كما أشرنا إلى ذلك من قبل، فإنّ هذا التدريب لا يكون عفويًا تلقائيًا بل مقنن، لأنّه يوجد مدرب سيصهر على تدريب هذه الرياضة، رياضة تقيّد الأجسام وتقوي الأبدان، مادام أنّ ممارستها ستكون بصورة معتدلة منتظمة، لأنّ " التمرينات المبالغ فيها، أو التمرينات القليلة التي تلحق الضرر بقوى الأطفال، مثلها في ذلك مثل الإفراط أو الإقلال في الطعام، الذي يلحق الضرر بالصحة، كما يدرس الصبي في هذه الفترة أيضا القراءة والكتابة والموسيقى والرسم". (سليمان، فتحة حسن، 1996، ص60). وبالتالي ووفقا لهذا الحديث، فإنّ الاهتمام والاعتناء بالرياضة، يكون قبل العناية بالمواد الدراسية، والهدف من هذا ليس تقوية البدن فقط، بل من أجل تكوين العادات الطيبة، لقدرتها على ضبط الشهوات والرغبات، ومن ثم تكون التربية الرياضية، تدريبا على التمرينات العقلية التي سينصرف الطفل إليها فيما بعد.

المرحلة الثانية (14-21):

إنّ ما يميز هذه المرحلة التعليمية من حياة الطفل، أنّها تنحصر في غالبيتها في تلقين الجانب النظري عكس سابقتها، كما أنّ طبيعة دراستها حسب أرسطو تتوافق فقط مع المواطنين الأحرار، الذين تتناسب مع طبيعتهم، " التربية الحرة، التي تتلاءم مع طبيعة الرجل الحر، والتي تهدف إلى تنمية الذكاء ما دام أنّ العقل هو المميز للإنسان عن الحيوان. ونحن إذا ما منحنا الفرد تربية حرة فإنّه لا يظفر بأحسن إعداد للمواطن المستتير فقط، ولكنّه سوف يحقق أسمى أهداف الحياة وهو السعادة". (عبد العزيز صالح، 1965، ص18) وكنتيجة مبدئية يمكننا أن نستخلص من كلام أرسطو أنّ التعليم نوعين:

أ- **تعليم الأحرار:** وطبيعته أنّه لا يرجى منه كسب مادي، بل هدفه إملاء وقت الفراغ بالتعلم والتميز الفكري، وبالتالي نكون أمام النظرية الممجدة للعلوم النظرية، أو المعرفة من أجل المعرفة، التي عرفت بها الثقافة اليونانية عموما. أمّا التعليم الثاني فهو عكس ذلك تماما، و إن كان في حقيقة الأمر مكتملا ومتمما له وهو:

ب- **التعليم الحرفي المهني:** ويتضمن هذا النمط تعلم مجموعة من الحرف والصناعات والمبتغى منها، هو الكسب المادي، الذي يعد من اختصاص العمال والمزارعين، أي طبقة العبيد المنتجة، أما الطالب الحر فتقتصر دراسته على الآداب، السياسة، الرياضة، الهندسة والفلسفة، أي العلوم ذات الصبغة العقلية النظرية. كما

أن دراسة اللغة والشعر يزيد من الذوق الجمالي لدى المتعلم، ومن ثم فإنّ وجهة أرسطو هذه تختلف عن النظرية الأفلاطونية التي تعتبر أنّ الشعر مفسدة وتشترط اتصاف الفنان بصفات معينة تجعله أكثر صرامة. أمّا أهمية تعلم الرياضيات والهندسة تكمن في تقوية الحكم القياسي، ونفس الشأن لباقي العلوم الأخرى، كالفلسفة التي تنمي ملكات الفرد المتعددة، ما دام أنها تدخل في إطار علم النفس وغيرها. " أمّا حينما يصل الشاب إلى سن الثامنة عشرة، فإنّه يمارس التمرينات البدنية العنيفة لمدة ثلاثة سنوات، ويخضع لنظام دقيق في تغذيته، ولا يدرس في هذه الفترة دراسات عقلية على أساس أنّه يرهق عقله وبدنه في نفس الوقت، لأنّ هذين الجهدين يتعارضان". (إبراهيم سمعان، وهيب، 1961، ص250) وتقتصر التدريبات الرياضية على المصارعة وركوب الخيل، وبعض التمرينات الفكرية، وتكون هذه التدريبات حتى سن الكهولة، حتى تحافظ على رشاقة الفرد وقوته، أمّا عند بلوغ الإنسان سن الواحد والعشرين، فإنّ الطلاب يدرسون السياسة و الأخلاق وعلم النفس والتربية. لأنّ هذه المادة كفيّة بتكوين الفرد و إعداده للمواطنة وخدمة وطنه، إضافة إلى دراسة بعض العلوم الأخرى، كالبيولوجيا والطبيعة، لأنّها ضرورية في تربية المفكرين كما يعتقد أرسطو. أمّا بالنسبة للشباب المتفوق في دراسته النظرية والعلمية، فإنّهم سيدخلون إلى سلك الكهنوت للوصول إلى مرحلة التأمل، التي تفضي بهم إلى بلوغ المناصب العالية في الدولة.

3- النتائج :

"إنّ أول ميزة يمتاز بها أرسطو عن سلفه، وهي من وضعه وتفكيره، هو وضعه لعلم جديد وهو المنطق". (ويل ديورانت، 2004، ص57) الذي كان يهدف منه أساسا، إلى ضرورة تدريب العقل للوصول إلى الحقيقة، وهذا لا يتأتى إلاّ بعصم الذهن من الوقوع في الخطأ، كما أنّ فضل المعلم الأول على البشرية هو إرسائه لمبادئ العلم الأولى، على حد تعبير أرنست رينان الذي قال : " إنّ العلم كان قبل أرسطو جنينا وولد بمجيئه". (العامرية، محمد حسن، 1999، ص130) إنّ أعمال أرسطو التربوية قد بدأت، " بتأسيسه للمدرسة الشهيرة المعروفة بـ "الليسيوم" في أثينا، واشتغل مدرسا لمدة ثلاث سنوات، وكان واقعي النظرة، تجريبي النزعة، لهذا كانت نظرتة إلى التربية أعمق وأوضح من أستاذه المثالي أفلاطون " (ويل ديورانت، 2004، ص54). وبالتالي لم تكن مدرسته هذه، صورة طبقا الأصل من المدرسة التي تركها أفلاطون، " حيث اقتصت الأكاديمية فوق كل شيء بالرياضيات والفلسفة السياسية التأملية، أمّا مدرسة أرسطو، فقد مالت أكثر إلى تدريس علم الأحياء والعلوم الطبيعية". (ويل ديورانت، 2004، ص53) إنّ اهتمام أرسطو بالمشاكل السياسية والاجتماعية لعصره، هي التي حذت به إلى إصلاح هذه الأوضاع، والطموح إلى بناء دولة عادلة على غرار أستاذه أفلاطون. وللحصول على هذا المبتغى، فلا بد من وجود رجال أكفاء وذو مقدرة على تحمل المسؤوليات، وهذا العمل يبدأ من ائتلاف الأسرة ووحدتها أولا، ثم المجتمع بصورة عامة و متكاملة، والذي في آخر الأمر لا يتحقق إلاّ من خلال التربية. إنّ واجب الدولة الأول هو الاهتمام بهذا المجال، " فالدولة التي تهمل التربية، لا بد أن يصيبها شر عظيم وضرر كبير". (العامرية محمد حسن، 1999، ص130). ومن ثم فإنّ النظرة الأرسطوية للتربية لا تخرج عن كونها جزء أو فرع من السياسة، لأنّ هذه الأخيرة هي مصدر نجاح باقي وظائف الدولة الأخرى، " إنّ العلم الذي تحدد غرضه بالبحث عن ما هو الخير الأعلى بالنسبة للإنسان، وعن البحث بالمعاملات الإنسانية منظورا إليها من هذه الزاوية، وبالعلاقة بالخير الأعلى، يجب اعتباره أفضل العلوم وأهمّها، وأساس العلوم الأخرى، وهذا العلم هو العلم السياسي". (جورج كتورة،

1987، ص14) أي السياسة هي فن توجيه المجتمع، ونجاحها متوقف على وجود شعب صالح، وقاعدة بشرية قوية، كان أرسطو من المنادين بضرورة تربية أبناء المواطنين تربية موحدة، تشرف عليها الدولة، " لأنّ التربية في النواحي ذات الطابع العام يجب أن تكون واحدة بالنسبة للجميع. ولا يجب علينا أن نفترض أن واحدا من المواطنين ملكا لنفسه، لأنّ كل المواطنين ملك للدولة، وكل واحد منهم جزء منها، والعناية بكل جزء لا تتفصل عن العناية بالكل، وعلى هذا الأساس يجب أن تنظم القوانين شؤون التعليم، وأن يكون التعليم من شأن الدولة." (إبراهيم سمعان وهيب، 1961، ص393) لأنّ الإشراف المباشر من طرف الدولة على فرضية تعليم محدد، سيكون من شأنه المحافظة على استقرار الحكم وبالتالي الدولة، فالنظرية الأرسطية ترمي إلى إدماج المواطنين في عقائد الدولة، وإن كان للمواطن الحق في سن قوانينها والمصادقة عليها، فإنّ هذا الأمر لا يكفي في نظر أرسطو إذا لم يرّى المواطنين بشكل عام يسمح لهم بالانسجام مع روح النظام السائد فيها. إضافة إلى هذا العامل، فمن الضرورة كذلك أن يكون التعليم موحدا عاما، لأنّ التعليم الخاص يؤدي إلى التفرقة بين الأفراد، " فالناس الذين عندهم ثروة كبيرة وقوة أصدقاء وما شابه ذلك، لا يكونوا راضين أو قابلين للخضوع للسلطة، والشر يبدأ من المنزل، لأنّهم حينما يكونوا أولادا ونتيجة للترف الذي يعيشون فيه، فإنّهم لا يتعلمون مطلقا عادة الطاعة حتى في المدرسة، ومن ناحية أخرى نجد الفقراء المعدمين يقفون موقفا لا يحسدون عليه"، (إبراهيم سمعان وهيب، 1961، ص247). أي أنّ التعليم الخاص سينجم عنه صنفين مختلفين من الناس، طبقة غنية غير معتادة على الطاعة، والطبقة الأخرى راضخة لقوانين الدولة، وهذا ما يسبب الصراع الطبقي بين فئات المجتمع، ولانتفاء هذا التمايز يجب أن تكون هناك مساواة في الملكية والثروة والامتيازات. والأهم من ذلك هو ضرورة المساواة حتى في الرغبات، " فيجب أن تكون هناك مساواة بين رغبات الأفراد ومطامحهم، ولن يحدث هذا إلا إذا وفرت الدولة التربية الكافية". (إبراهيم سمعان وهيب، 1961، ص247). التي ستقضي على الصراع، فمجمّل المبررات الأرسطية المقدمة لا يتعدى هدفها، في صون المجتمع وبث روح الاحترام بين أفرادها.

4-الخلاصة:

وكخلاصة نهائية يمكننا القول أنّ الثقافة اليونانية بفلاسفتها، أغنت الفكر الإنساني في عديد المجالات، وكثير الميادين، وتعد النظريات التربوية إحدى وأهم ما تركته الفلسفة اليونانية، علاوة على صعيد الفكر السياسي والأخلاقي والاجتماعي، بحيث تعتبر الفترة الأنوارية التي شهدتها أوروبا في القرن الثامن عشر، دليلا واضحا على هذا الكلام، خاصة في ما يخص الجانب التربوي، بحيث نجد مثلا روسو رائد هذه الحقبة يدين بالكثير للتربية الأفلاطونية الواردة في " كتاب الجمهورية"، بحيث اتفق مع نظرة أفلاطون في دور التربية في إعداد الفرد المواطن، المتصف بميزات المواطنة الحقة، وإن اختلف معه في نقاط أخرى، كدرجة العناية بالمرأة، وهذا التباين الحاصل بين النظريتين مرده إلى الاختلاف في الأهداف المحددة لكل فيلسوف، فمطلب أفلاطون كان يرمي إلى تكوين جمهورية قوية بمساهمة كل أبنائها، بتكوين دولة تعتمد على نظرية سياسية كفيلة بتحقيق هذا الهدف، أمّا نظرة روسو فقد اقتصرته على تكوين إنسان متزن في حياته، بقدرته على التوفيق بين الرغبة الداخلية والمتطلبات الوطنية.

أمّا الفلسفة التربوية الأرسطية، فقد جعل منها روسو حسب رأبي القاعدة المبدئية في إعداد التربية لإميل، من خلال دعوته للحرية خاصة في الحياة المتقدمة للطفل بإفساح المجال أمامه للعب والتسلية، وهذا ما

سماه أرسطو بالتربية غير نظامية، أو التربية المنزلية، التي تعد تكويننا أساسيا في حياة الطفل، وتتوقف عليها نجاحات الولد المستقبلية.

وفي الأخير يمكننا عرض حوصلة لأهم ما يمكن أن يكون مخرجا لإشكالية بحثنا كروية نقدمها حلا ونفتح بها أفقا بحثية كالاتي:

رغم المسافة الزمنية الطويلة التي مرت على العصور الإغريقية الا أنه لايجب التقريط في مكاسبها وانجازاتها العديدة والمتنوعة، اذ يجب العودة دائما وباستمرار الى هذا الموروث ومعالمه الثقافية والاجتماعية بغية الاستفادة منها في حاضرنا التربوي والسياسي والاجتماعي، فالفكر التربوي اليوناني تميز بتنوع مذاهبه واختلاف اتجاهاته التي لايمكن ادراكها الا بالاطلاع على السمات العامة للتربية الاغريقية بغية التعرف على نقاط قوتها وضعفها ومنه توظيفها في فك طلاسيم اشكالياتنا التربوية المعاصرة والتي استعصى علينا حلها رغم ما عرفته مجتمعاتنا من تقدم علمي وتقني، وهذا ما قامت به العديد من الدول الغربية العظمى في العصر المعاصر منها اليابان التي جعلت من العظمة الوطنية الهدف الأسمى للتربية، أي أن اليابان جعلت هدف التربية هو تكوين مواطنين مخلصين للدولة من خلال العلوم والمعارف التي تعلموها عن طريق التربية ، وهذا ما يجب علينا القيام به في عالمنا العربي، اذا ما عرفنا كيف نستفيد من الآخر سواء تعلق الامر بالثقافات والحضارات القديمة أو الحديثة.

- الإحالات والمراجع:

- الفرخان، محمد،(1999) الخطاب الفلسفي التربوي، الشركة العالمية للكتاب بيروت، ص(35).
- العامرية، محمد حسن(1999)، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان،الاردن،صص(109-135-130).
- الخوري، أنطوان،(1962) التربية من أفواه رجالها قديمهم وحديثهم، دار الكتاب،الدار البيضاء،صص(18-19).
- بوبكري، محمد، (1997) التربية والحرية، دار الشرق إفريقيا الشرق، بيروت،صص(15-59)
- ديورانت، ويل،(2004) قصة الفلسفة، ترجمة عبد الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، المجددة ص ص (20-23-41-28-29-30-32-67-57-54-53).
- وولف، فرانسيس،(1994) أرسطو والسياسة، ترجمة أسامة الحاج، ، بيروت، لبنان، صص(99-100).
- كتورة، جورج،(1987) السياسة عند أرسطو، بيروت، ص(14).
- مذكور إبراهيم،(1983) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،صص(42-22).
- صليبا، جميل،(1994) المعجم الفلسفي، بيروت، لبنان، ص ص(266-277).
- صالح عبد العزيز،(1965) التربية وطرق التدريس، دار المعارف مصر،صص (18).
- شبشوب، أحمد(1986) علوم التربية. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ص ص(7-47-48).
- ربول، أوليفيه،(1986) فلسفة التربية، ترجمة جهاد نعمان، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3،صص(14-19)

- روسو، جان جاك، (1956) إميل أو التربية، ترجمة نظمي لوقا، تقديم أحمد زكي محمد، دار المعارف مصر، ص(30).
- سمعان، وهيب إبراهيم، (1961) دراسات في التربية المقارنة، دار المعارف، مصر، (ص ص 248-393-249).
- سليمان، فتيحة حسن، (1996) التربية عند الرومان واليونان، القاهرة مكتبة نهضة مصر، (ص 60).